

لَسْنَةِ مُلِيشِرِكِيَّةِ الْحِجَّةِ

١٤١١هـ

فاطمة بنت رسول الله
رضي الله عنها

قال النبي ﷺ لابنته فاطمة:

- * ألم ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة،
- * نزل ملك فبشرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة،

حديث شريف

تجد عدداً من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

فاطمة بنت رسول الله ﷺ
رضي الله عنها

آل النبي :

مدح آل النبي عندي
 «خيرٌ من اللهو ومن التّجارة»^(١)
 أنجو بهم من عذاب نار
 «وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ»^(٢)

* ولقاوْنَا اليوم مع واحدة من آل النبي ﷺ، وسيّدة نساء العالمين في زمانها، البعضُ النبوة، والجهة المصطفى، أم أبيها، فاطمة بنت سيد الخلق، سيدنا رسول الله ﷺ أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، وأم الحسنين.

* ولدت فاطمة في أم القرى؛ وقريش تجدّد بناء الكعبة

(١) اقتباس من سورة الجمعة من الآية (١١).

(٢) اقتباس من سورة التحرير من الآية (٦).

تسترضع لها خديجة، بل أرضعتها هي - رضي الله عنها - .

* نشأت فاطمة في بيت الظهر، وصُنعت على عيني أبويها، ومن ثم نهلت من معين النبوة الصَّافِي، حيث فتحت عينيها على أمِّ الرسالة التي خصَّ الله سبحانه بها سيدنا محمدًا ﷺ؛ ليحملها إلى البشرية .

* * *

في رحاب السِّيَادَةِ :

* قبل أنْ نطوي الصفحات في قراءة حياة فاطمة، دعونا نقف لحظاتٍ عند الأصل الزَّكِي الذي تكلل بالسيادة، وأشرق بالمجد من أطرافه .

* فأبواها سيدُ ولدِ آدم، ورحمةُ للعالمين، تبينا محمدًا ﷺ .

* وأمُّها سيدة نساء العالمين، وأولُ الناس إسلاماً، أمُّنا خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها وأرضعها - .

* وفاطمةُ نفسها سيدة نساء أهل زمانها، وأفضل بنات النبي الكريم ﷺ .

* وزوجها سيد في الدنيا والآخرة، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

- * ولداتها سيداً شبابِ أهل الجنة، ورياحتنا رسول الله الحسن والحسين - رضي الله عنهمَا - .
- * وعمُها سيد الشهداء، وأسدُ الرَّحْمَن وأسدُ رسوله، حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - .
- * وعمُها الآخر سيدبني هاشم، كان يمنع الجار، ويذلل المال، ويعطي في التوائب، ويكسو العاري، وينطعم الجائع، العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - .
- * وابن عمها السيد الشهيد الكبير الشأن، عَلَمُ المجاهدين، جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - .
- * والآن قُلْ لِي بِرَبِّكَ مَنْ يَدَانِي فاطمة الزهراء في الفخار؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل؟ يكفيها من الفخر أنها تكنى أم أبيها.

* * *

طليعة السابقات :

- * لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ بالرسالة من ربِّه، كانت أم المؤمنين خديجة أول من آمن وصدق بالرسالة، وكانت بنت النبي الطاهرات زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة؛ في طليعة السابقات إلى الإيمان بأبيهن ﷺ نبياً ورسولاً.

* وذكر ابن إسحاق - رحمه الله - عن أمها عائشة أنها

* بُنات النبي الكريم ﷺ في عقد واحد مع أمهن في السُّبُقِ إلى ساحة الإسلام، والصديق برسالة أبيهن ﷺ؛ الذي تميَّز بصفات مباركةٍ قبل الرسالة، وكُنْ يُعرفن هذا، فكيف بعد الإسلام؟ .

* يقول الإمام الزرقاني - رحمه الله - في شرح المواهب عن أسبقة فاطمة وأخواتها إلى الإسلام: ولم تُذكَر بناهُ ؛ لأنَّه لا شك في تمسكهنُ قبلبعثةٍ بهديه وسيرته ﷺ .

* وفي موضعٍ آخر يبيَّن الزرقاني سبق بُنات النبي ﷺ فيقول: والحاصلُ أَنَّه لا يحتاج للنص على سبقهن إلى الإسلام؛ لنشائهنُ بين أحضان أصدق وأكرم أبوه، وأفضل وأحنى أمهمة، يأخذن عن أبيهن أكرم المكارم، وعن أمهن حصائل العقل الذي لا يُوزن به عقل امرأة في السالقين ولا في اللاحقين .

* كان إسلامُ أسرة النبي ﷺ زوجه وبناته، إسلامُ الفطرة التَّقِية التي غُدِّيت بالإيمان والتَّبُوة، ونشأت على الفضيلة ومكارم الأخلاق، فله درُّ هذه الأسرة المباركة ! .

* * *

فاطمة الزهراء وأجلال قريش :

* مضى رسول الله ﷺ في النهوض بدعوته، وتبلیغ رسالته

رَبِّهِ، لَا يَبْلِي بِمَا يَلَاقِي مِنْ بَلَاءٍ وَعَنَاءً، أَوْ سُقْهِ وَإِيذَاءً، أَوْ تَكْذِيبٍ وَافْتِرَاءً؛ فَقَدْ وَقَفَتْ قَرِيشٌ مَوْقَفَ الْعَنَادِ وَالْتَّعْنِتِ مِنَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، فَكَانَتْ تَسْلُكُ سُبُّ الْغَوَايَةِ وَالْأَسْتَهْزَاءِ بِهِ، وَتَدْفَعُ بِأَحْقَادِهَا لِتَقْفِي سَدًّا مِنْيَأً أَمَامَ إِلْسَامِ الَّذِي أَنْارَ الْوُجُودَ، وَكَانَتْ الزَّهْرَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي بَدْيَةِ طَفُولَتِهَا تَلْمِسُ مَا يَحْيِطُ بِوَالَّدِهَا مِنْ مَصَاعِبَ، فَكَانَتْ تَرَافِقُهُ أَحْيَانًا فِي ذَهَابِهِ وَإِيابِهِ، وَذَاتَ مَرَّةَ رَأَتْ مِنْ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيطَ - أَحَدِ الْأَصْفَاءِ قَرِيشٍ وَأَجْلَافِهِمْ - حَادِثَةً لَا تَكَادْ تَغْيِيْبُ عَنْ ذَاكِرَتِهَا مُطْلِقًا، فَقَدْ كَانَ عَقْبَةُ هَذَا فَاجِرًا خَيْثَانًا مَعْمُورَ النِّسْبِ فِي قَرِيشٍ، لِذَلِكَ كَانَ يَتَرَبَّ إِلَيْهِمْ بِأَعْمَالِ السُّوءِ لِتَنْفِيذِ مَأْرِبِهِمْ حَتَّى يُغْطِي عَنْ أَصْلِهِ الْخَسِيسِ.

فَفِي إِحْدَى الْمَحَالِسِ الْوَثَنِيَّةِ الْفَاجِرَةِ سَمِعَ عَقْبَةُ نَفْرًا مِنْ أَجْلَافِ قَرِيشٍ قَالُوا: مَنْ يَقُومُ إِلَى هَذَا السَّلَامِ^(١) فَيَلْقِيهِ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ؟

وَتَبَرَّعَ عَقْبَةُ - أَخْزَاهُ اللَّهُ - بِتَنْفِيذِ رَغْبَتِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَقَالَ: أَنَا، وَأَسْرَعَ إِلَى السَّلَامِ وَحْمَلَهُ، ثُمَّ أَلْقَاهُ عَلَى ظَهْرِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَعَصْبَةُ الشَّرِّ يَنْظَرُونَ مَتَسَافِهِينَ، يَمْلِئُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بَعْضًا مِنْ شَدَّةِ الضُّحْكِ وَالْأَسْتَهْزَاءِ، وَيَقْنِي سَيِّدُ الْمَرْسَلِينَ فِي سُجُودِهِ، حَتَّى وَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى سَيِّدَ نِسَاءِ

(١) السَّلَامُ: هُوَ مَا يَخْرُجُ مَعَ وَلَدِ النَّاقَةِ كَالْمُشَيْمَةِ لِوَلَدِ الْمَرْأَةِ، وَيَكُونُ بِهِ قَدْرُ وَدَمَاءِ.

عنها - وأخذت الأقدار عن ظهر أيها، وغسلت ما لحق به من أذى، ومن ثم أقبلت على العصبة الفاجرة، فسبّتهم وشتمتهم.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته رفع يديه ودعا عليهم فقال: «اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهم عليك بأمية بن خلف». ولما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك، وخافوا دعوته.

ومن فضل الله على نبيه أنه استجاب دعوته فقتلوا جميعاً يوم بدر^(١).

* ومن الجدير بالذكر أن عقبة بن أبي معيط قد أُسر في غزوة بدر، ولما أمر النبي الكريم ﷺ بقتله، قال: فمن للصبية يا محمد؟ .
قال: «النار».

ثم قال: أتقتلني من بين قريش؟ .
فقال النبي ﷺ: «نعم».

ثم التفت إلى أصحابه وقال: «أندرون ما صنع بي هذا؟

(١) عن دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠)، والبداية والنهاية (٣/٤٤) بتصرف.

جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقي وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران^(٢)، وجاء مرة بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي».

وهكذا حلَّت القارعة بعقبة - الخيث - فقتل بأيدي المسلمين ..

* * *

الرِّهْرَاءُ ومحنة الحصار :

* لجأت قريش إلى طريقة جديدة في إذانها رسول الله ﷺ، وفي هذه المرة تعدّت إلى إذاء بنى هاشم وبني عبد المطلب، وأجمع المشركون أمرهم أن يقاطعوهم مقاطعة كاملة، فلا يبيع، ولا شراء، ولا كلام، ولا مخالطة؛ حتى يُسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ، وانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب - إلا أبا لهب - وحيضوا في شعب أبي طالب، واستند عليهم الحصار حتى أجهدهم، وكان يُسمع من وراء الشعب أصوات الصبيان والنساء يتآلمون من شدة الجوع، وكانت فاطمة - رضي الله عنها - مع المحاصرين، وقد أثر الحصار في صحتها تأثيراً بالغاً ظل يصاحبها إلى أن لقيت ربها.

(٢) تندران: تخرجان من مكانهما.

ال المسلمين وعلماء الثبات ترسم على وجوههم المشرقة
بنور الإيمان، وقد استقرت في قلوبهم محبة الله سبحانه
ومحبة رسوله ﷺ.

* * *

السيدة فاطمة وخدیجہ - رضی الله عنہما - :

* لم تك فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - تنسى مأسى
الحصار، حتى جاء اليوم الأليم في حياتها، ذلك اليوم الذي
فقدت فيه أمها خديجة - رضي الله عنها ، وبوفاتها فقدت
قلبها الكبير الذي احتوى كل أعباء الحياة، كما فقدت يدها
الحانية المعطاء؛ التي تركت بصمات مباركة في بناء بيت
النبوة، وأصبحت أعباء الحياة ملقاة على عاتق الزهراء، ولكن
هذا زادها إيماناً وتسليناً، ومن ثم تعلقت بأيتها عليها السلام، الذي
وجدت في قلبها الكبير العطف والرحمة والحنان، وتابعت معه
رحلة الحياة وشاركته أعباء الدعوة، إلى أن أذن الله بالهجرة
إلى المدينة المنورة.

وكانت فاطمة الزهراء في عدد المهاجرات، وفي المدينة
بدأت حياة جديدة بين قوم كرام يحبون من هاجر إليهم،
ناهيك بأنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

* * *

«إِنَّ عَلِيًّا يَذْكُرُكِ»:

* في السنة الثانية من الهجرة، تزوج سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فاطمة ابنة سيدنا رسول الله ﷺ وبينها، وذلك عقب غزوة بدر الكبرى.

ولخطبة فاطمة رضي الله عنها قصة مباركة اكتنفتها العناية الإلهية، ولترك الخطاب نفسه سيدنا علياً يحدثنا عن خطوات هذا الحدث المبارك قال:

خطبَتْ فاطمةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ مُوْلَاهُ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ فاطِمَةَ حُطِبَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ .
قَلَتْ: لَا .

قَالَتْ: فَقَدْ خُطِبَتْ، فَمَا يَمْنَعُ أَنْ تَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوْجَكَ بِهَا؟ .

فَقَلَتْ: أَوْ عَنِّي شَيْءٌ أَتَرْوَجُ بِهِ؟ .

فَقَالَتْ: إِنَّكَ إِنْ جَئْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوْجَكَ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ تَرْجِينِي حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَنْ قَعَدْتُ بَيْنَ يَدِيهِ أَفْحَمْتُ، فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَنْكُلَمْ جَلَالَةً وَهِيَةً .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَكَ حَاجَةٌ؟» .

قَالَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - : فَسَكَتْ .

فَقَالَ عَلِيٌّ: «لَعْلَكَ جَئْتَ تَخْطُبُ فاطِمَةَ؟» .

فقال: «وهل عندك من شيء تستحى به؟».

فقلت: لا، والله يا رسول الله.

فقال: «ما فعلت بالدرع التي سلحتكها؟».

فقلت: عندي، فوالذي نفس علي بيده إنها لحُطمية^(١)، ما ثمنها أربعة دراهم.

فقال رسول الله: «قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها».

قال: فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله رسول الله^(٢).

وأقبل الحبيب المصطفى رسول الله على ابنته فائلاً لها: «إن علياً يذكرك» فسكتت - رضي الله عنها - فزوجها^(٣).

وكان عمرُ فاطمة إذ ذاك ثمانية عشرة سنة، ويكبرها عليٌّ بأربع سنين.

* * *

«اللهم بارك لهمَا»:

* لما كانت ليلة زفاف الزهراء، طلب رسول الله رسول الله ما

(١) الحُطمية: نسبة إلى حطم بن محارب من مغارب من عبد القيس، اشتهروا بصنع الدروع، أو لأنها كانت تحطم السيف.

(٢) عن دلائل النبوة للسيهقي (١٦٠/٣)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٧١٧٥)، والبداية والنهاية (٣٤٦/٣) بتصرف يسر.

(٣) طبقات ابن سعد (٢٠/٨).

فتوضاً منه، ثم أفرغه على عليٍّ، وقال: «اللهم بارك فيهما، وبارك لهما في نسلهما»^(١).

* واحتفل بنو عبد المطلب والصحابة الكرام بهذا الحديث السعيد، وتحر حمزة بن عبد المطلب بعض إيله وأطعم الناس، وانتقلت الزهراء إلى بيت الزوجية، ذلك البيت الذي لم يُعرش بالسرير المرفوعة، والأكواب الموضوعة، ولا النمارق المصقرفة أو الزرابي المثبتة، وإنما كان في غاية البساطة والتواضع، فيه جلد كبش، ووسادة حشوها من الليف، وسقاء وجرتان ورحي للطحن، وكان بعيداً عن منازل النبي ﷺ.

* وبعد فترة جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة فقال لها: «إنني أريد أن أحولك إلى».

فقالت: كلّم حارثة بن النعمان يتحول عن بعض منازله.

فقال: «قد تحول حارثة عنا حتى قد استحببت منه».

* وبلغ ذلك سيدنا حارثة رضي الله عنه، فجاء مسرعاً وقال: يا رسول الله، بلغني أنك تحول فاطمة إليك، وهذه منازلي وهي أسبق - أقرب - بيوتبني التجار بك، وإنما أنا ومالى لله ولرسوله، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب من الذي تدع.

(١) أسد الغابة ترجمة رقم (٧١٧٥).

لحوظهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيت حارثة بن التعمان،
وسكنه على فاطمة - رضوان الله عليهما ^(١).

* * *

الصَّابِرَةُ التَّقِيَّةُ :

* لم يعرف التاريخ امرأة جمعت الصبر والتقى كفاطمة الزهراء ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمنذ الأيام الأولى من زواجهما بدأت تمارس أعمال البيت المرهقة وقتذاك، فكانت تطحن وتعجن حتى تلامس خصلات شعرها جفنة العجين وأحياناً تلامس الأرض، ثم تقوم بعملية خبز العجين، ولم يستطع زوجها الزاهد المجاهد أن يستاجر لها خادماً تعينها في أعمال البيت، بل قال لأمه فاطمة بنت أسد - رضوان الله عليها - : اكفي فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخدمة خارجاً، وتكتفي بـ هي العمل في البيت والعجن والخبز والطحون.

* وكان سيدنا علي يرى زوجه الطاهرة التقى وقد أثر فيها التعب، غير أنه استبشر بوصول غنائم وسبايا من إحدى الغزوات، ووجد ذلك فرصة مناسبة فقال لفاطمة: والله لقد

(١) انظر هذه القصة بتوسيع في سيرة الصحابي الجليل المضياف سيدنا حارثة بن التعمان في كتابنا رجال مبشرتون بالجنة جزء (٢)، ففيه ما يسر النفس والقلب.

تعبتُ من سقاية الماء من البئر حتى اشتكتُ صدري، وقد جاء الله أباك يسّي فاذهبي فاطلبي خادماً.

قالت: وأنا والله لقد طحنت حتى أثر ذلك في يدي.

ثم أتت النبي ﷺ، فقال: «ما جاء بك وما حاجتك أي بُنْيَة؟».

قالت: جئت لأسلم عليك، وأرجو عليها الحياة ستاراً فلم تطلب منه شيئاً وعادت، فقال لها عليٌّ: ما فعلت؟.

قالت: استحييت أن أسأله فرجعت.

فقام على وفاطمة وانطلقا في تهبيب وترديد وحياء حتى أتيا رسول الله ﷺ، وشكيا له حالهما وطلبا أن يهب لهم خادماً. فقال لهم النبي ﷺ: «والله لا أعطيكم، وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم لا أجده ما أنفق عليهم، ولكنني أبعهم وأنفق عليهم أثمانهم».

فرجعا وأتاهم النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما، فإذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا - قاما لاستقباله - فقال: «مكانكم».

ثم قال: «ألا أخبركم بما سألتماني؟».

قالا: بلى.

قال: «كلمات علمتيهن جبريل، تسبّحان الله في دبر كل صلاة عشرة، وتحمدان عشرة، وتكبران عشرة، وإذا أويتما

وقنعت الزهراء وعليها - رضي الله عنهم - بهذه الكلمات المباركات، وبهذا الرزق الرباني الذي ألمّ بهما إلى نهاية حياتهما.

* * *

الرَّاهِدَةُ الْوَرَعَةُ :

* وصف أبو نعيم في حليته الزهراء فقال: ومن ناسكات الأصفياء، وصفيات الأنقياء فاطمة - رضي الله تعالى عنها - كانت عن الدنيا ومنتتها عازفة، وبغواص عيوب الدنيا وأفاتها عارفة.

* في حياة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - مواقف وضيئه تفيض بالبركة والنور، وتشير إلى زهدها وورعها وخوفها من الله سبحانه، والعمل المتواصل على مرضاته.

وقد ذكر الإمام الذهبي - رحمه الله - قصة تشير إلى ذلك فقال:

(١) الحديث صحيح رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي، ومسلم في الذكر والدعاء، والترمذى في الدعوات، وأبو داود في الخراج والإمارة، وانظر القصة بأساليب متقاربة في الطبقات (٢٥/٨)، وصفة الصفوة (٢/١٠ و ١١)، والإصابة (٤/٣٦٨).

دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وقد أخذت من عنقها سلسلةٌ مِنْ ذهَبٍ، فقالت: هذه أهداماً لِي أبو حسن - زوجها - فقال: «يا فاطمة أَيْسِرُكَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ هَذِهِ فاطمة بُنْتُ مُحَمَّدٍ وَفِي يَدِهَا سلسلةً مِنْ نَارٍ؟».

ثم خرج، فاشترطَ بالسلسلةِ غلاماً فأعْتَقَهُ، فقال النبي ﷺ: «الحمدُ لِهِ الَّذِي نَجَّى فاطمةَ مِنَ النَّارِ»^(١).

* إِنَّهُ زَهْدٌ وَوَرْعٌ وَحُبُّ اللَّهِ، أَوْلَى سِيدِ الزَّهَادِ وَسِيدِ الْوَرَعِينَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ لَقَدْ سَمِعْتُهُ عِنْدَمَا قَالَ: «... وَبِإِيمَانِ فاطمةَ بُنْتِ مُحَمَّدٍ سَلِيْنِي مَا شَتَّتَ مِنْ مَالِيْ لَا أَغْنِيَ عَنِّكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً»^(٢) فَكَيْفَ تَرَكَ بَعْدَ هَذَا إِلَى الدُّنْيَا؟

لَذَا فَقَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ وَالْعِبَادَةِ، وَزَهَدْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا فِي مَرْضَاهُ وَمَرْضَاهُ رَسُولِهِ، فَكَانَتْ مِنْ قَالِ اللَّهِ عَنْهُمْ: «وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» [التوبه: ٢٠].

* وقد بلغت الزهراء - رضي الله عنها - في الفضل والزهد مكانةً لم تُسبِّقْ إِلَيْها فِي نِسَاءِ عَصْرِهَا، وَاقْتَدَتْ فِي الصَّدَقَ مَقْعِداً مَبَارِكاً زَكِيًّا، وَتَشَبَّهَتْ بِوَالدِّهَا مَا اسْتَطَاعَتْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، حَتَّى إِنَّ أَمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - شَهَدَتْ

(١) سير أعلام النبلاء (١٤٣/٢).

(٢) الحديث متفق عليه.

اصدُقْ لِهِجَّهِ مِنْ فَاطِمَةٍ؛ إِلَّا إِنْ يَحْوُنَ الَّذِي وَلَدَهَا بَشَّارٌ.

* وحسبك هذه الشهادة المباركة لتجعل فاطمة الزهراء في
منازل الصديقين، وحسن أولئك رفيقاً.

* * *

المُجَاهِدَةُ الْوَفِيقُ :

* لفاطمة الزهراء موافق وضيئه في الجهاد، وأثرت
التاريخ بما قدمته من فضائل فواحة بالأريج في مختلف
المجالات المباركة.

* ففي غزوة أحد - تلك الموقعة الفياضة بالدروس
والتضحيات - أصيب النبيُّ الحبيب صلوات الله عليه وآله وسليمه في بدنِه ووجهِه،
وتدفق الدمُ الشريف منه، وما استمسك حتى أحرقت قطعة
من حصير فألصقت به^(٢).

* ولكنَّ أين كانت الزهراء عند هذا الحادث؟ وفي هذه
الظروف؟

* الإمامُ البیهقیُّ - رحمه الله - يدلُّنا في دلائله على مكان
فاطمة - رضوان الله عليها - فيقول:

(١) انظر: الاستيعاب (٤/٣٦٦).

(٢) انظر: أنساب الأشراف (١/٣٢٤).

... وخرج نساء من المهاجرات والأنصار، فحملن الماء والطعام على ظهورهن، وخرجت فيهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أبصرت أبيها والذي به من الدماء اعتنقته، وجعلت تمسح الدماء عن وجهه، ورسول الله ﷺ يقول: «اشتد غضب الله على قومٍ دموا وجه رسول الله ﷺ»^(١).

* وعن دور فاطمة - رضي الله عنها - في أحد روى الصحابي الجليل سهل بن سعد فقال:

خرج رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، وهشممت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم وعلى يسكب الماء عليه بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير أحرقتها حتى إذا صارت رماداً ألصقتها بالجرح؛ فاستمسك الدم^(٢).

* وفي هذه الغزوة استشهد سيدنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد الرسول، وكانت فاطمة وهي الوفية ابنة سيد الأولياء تذكر عمّها المطعم يوم زفافها، فكانت تزور قبره وتبكي عنده وتدعوه له^(٣).

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢٨٣/٣).

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب المغارى ومسلم في كتاب الجهاد والسير، وانظر الطبقات (٤٨/٢)، والبداية والنهاية (٤/٢٩).

(٣) انظر: المغارى للواقدي (٣١٣/٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣٠٩/٣).

هذه الغزوة قَسْمٌ لها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ الْحَمْدَ خمسةٌ وثمانين وسبعيناً من قمح
خبير.

* وشهدت فاطمة كذلك غزوة الفتح ، وكان لها موقفٌ
شرقٌ مشرفٌ ، فقد رفضت أن تجبر أبا سفيان بن حرب
عندما طلب أن تشفع له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ الْحَمْدَ وقال لها: هل
لكِ أن تجبرني بين الناس؟ .

فقالت: إنما أنا امرأة . وأبْتَأْ عليه .

فقال لها: مُرِي ابْنَكَ الْحَسْنَ .

فقالت: ما بلغ أَنْ يجبرَ .

* ودخل النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ الْحَمْدَ والمسلمون مكة ، ولما اغتسلت كانت
فاطمة - رضي الله عنها - تسره بشوبيه ، ثم صلى ثماني
ركعات .

* وعندما بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ الْحَمْدَ الأُمَّارَةَ الْثَّلَاثَةَ^(١) إلى مؤتة
على رأس جيش لتطهيرها من المشركين ، استشهدوا واحداً
إثر الآخر ، هناك بكَتْ فاطمة ابن عمها جعفر بن أبي طالب
بكاءً مرَا ، ودخل عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ الْحَمْدَ وهي تقول: واعماء ،
فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ الْحَمْدَ: «على مثل جعفر فلتبك الباكية» وأمر

(١) الأُمَّارَةَ الْثَّلَاثَةَ هُمْ: زيد بن حارثة ، جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله
ابن رواحة - رضي الله عنهم جميعاً - .

بأن يُصنع لآل جعفر طعاماً، حيث شغّلوا عن أنفسهم
بعصاهم.

* * *

الحياة النبوية:

* سُئلَ الحبيب المصطفى ﷺ: أيُ الناس أحب إليك؟
قال: «فاطمة»^(١).

* وقال الإمام الذهبي - رحمه الله - : كان أحب النساء
إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال علي.

* ولفاطمة - رضي الله عنها - مكانة في قلب النبي ﷺ لا
تساويها مكانة، وحب لا يعدل حب، يكفيها من الشرف أن
رسول الله ﷺ كان يقوم لاستقبالها ويجلسها مكانه، ذكر هذا
الإمام البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلاماً ولا
حديثاً ولا جلسة من فاطمة - رضي الله عنها -. وكان النبي
ﷺ إذا رأها أقبلت رحبت بها، ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذ
بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه، وكان إذا أتاها النبي
ﷺ رحبت به، ثم قامت إليه فقبلته^(٢).

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٢) عن حياة الصحابة (٤٩٩/٢).

ويرى ذلك على وجهه الشريف، فقد لاحظ ^{رسول} دات مرأة أن سوء تفاهم قد حصل بين فاطمة وزوجها، فدخل وأصلاح بينهما ثم خرج، فقيل له: يا رسول الله دخلت وأنت على حالٍ وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك؟ فقال ^{رسول}: «وما يمنعني؟ وقد أصلحتُ بين أحبَّ اثنين إلى»^(١).

* وكما كان النبي ^{رسول} يُسرُّ لسرور فاطمة، كان يغضب كذلك لغضبها، وبهتمم بمشاعرها اهتماماً بالغاً.

وحدث أَنَّ عَلِيًّا - رضي الله عنه - هُمْ بما رأَه سائعاً مِن خطبة ابنة أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة - رضي الله عنها -، فأتت رسول الله ^{رسول} فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا على ناكح بنت أبي جهل.

فقام رسول الله ^{رسول} فقال: «إِنَّ فاطمة بضعة مني وإنِّي أَكْرَه أَنْ يسوءُها، وَالله لا تجتمع بنت رسول الله ^{رسول} وبنت عدو الله عند رجل واحد»^(٢).

وترى على الخطبة رعاية لفاطمة، وأسرع إليها يطلب العفو الذي جادت به فوراً، وتلاشت عوامل الحزن من

(١) عن طبقات ابن سعد (٢٦/٨)، والإصابة (٤/٣٦٨) بتصرف يسبر.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى.

حياتها، وعادت حياة السعادة لتغمر أحبّ بيت إلى قلب
رسول الله ﷺ.

* وقد وصف الذهبي - رحمه الله - فاطمة فقال: وكانت
صابرة، دينة، خيرة، صينة، قانعة، شاكرة لله، وكان النبي
ﷺ يكرّمها.

* وروي عن سيدنا علي رضي الله عنه قال:
سألت رسول الله ﷺ فقلت: أين أحب إليك أنا أو فاطمة؟
قال: «فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعز على منها».

* ولنلمس من خلال هذه الإجابة التبوية الشافية مدى حب
رسول الله ﷺ لابنته فاطمة، واحترامه وإكرامه صهره علياً
- رضي الله عنه - .

* * *

أم الحسنين:

* مضت الأيام هائنة تحمل في طياتها بذور السعادة
المتمثلة بتحمل فاطمة - رضي الله عنها - ، ولما وضعت
مولودها الأول في شعبان من السنة الثالثة للهجرة، جاء البشير
إلى النبي ﷺ فألقى الخبر، وسرّ النبي ﷺ بهذا النبأ
المبارك، وسرّ المسلمين كذلك بمولد سبط النبي ﷺ، وفي
اليوم السابع لموالده عقّ عنه رسول الله ﷺ بكبش، وحلق

ليرى المولود المبارك، ثم سماه حسناً، وأذن في ادنه يسمى .
 وفي شعبان أيضاً من السنة الرابعة للهجرة ولد الحسين - رضي الله عنه - ، وفعل معه كما فعل مع أخيه الحسن، وأضحى هذان الطفلان السعيدان حبيبي رسول الله ﷺ، فقال عنهما: «هما ريحانتاي من الدنيا»^(١)، وهما أيضاً: «سيداً شباب أهل الجنة»، وثبت أنَّ النبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ قد سماهما بالحسن والحسين .

* وبلغ حُبُّ النبِيِّ الْكَرِيمِ لسبطيه شيئاً مباركاً يشير إلى رحمته ﷺ، روى سيدنا أَسَمَّةُ بْنُ زَيْدٍ - رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله ﷺ ليلاً وهو مشتمل على شيء، قلت: ما هذا؟ فكشف فإذا حسن وحسين على وركيه، فقال: «هذان ابني وابنا بتني، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»^(٢).

* وفضائل الحسين ليس لها حصر - رضي الله عنهما^(٣) وأرضاهما -، وقد أكرم الله عزَّ وجلَّ فاطمة الزهراء في نسلها الطيب الطاهر فاختصها بذرية سيدنا محمد ﷺ، ولم يكن له

(١) الحديث رواه الإمام البخاري والترمذى وأحمد.

(٢) الحديث أخرجه الترمذى، وانظر: سير أعلام النبلاء (٢٥١/٣).

(٣) انظر ترجمة الحسن والحسين في سير أعلام النبلاء (٢٤٥/٣).

.٢٨٠

عقب من سواها، وكفى بالحسينين السبطين اللذين كانا قرة عين الحبيب المصطفى ﷺ، وأحب الناس إليه وأشبه الناس به، والله در محمد بن أحمد بن حابر الأندلسي الضرير^(١) نزيل حلب حيث يقول:

جَعَلُوا لِأَنَاءِ الرَّسُولِ عَلَامَةً
إِنَّ الْعَلَامَةَ شَانٌ مَنْ لَمْ يُشَهِّرِ
ثُورُ النُّبُوَّةِ فِي كَرِيمٍ وَجُوَاهِمْ
تَغْنِي الشَّرِيفَ عَنِ الطَّرَازِ الْأَخْضَرِ

* وذكر ابن منظور أنَّه يُقال للحسن والحسين أبناء الفواطم، فاطمة الزهراء أمُّهما، وفاطمة بنتُ أسد جدتهما، وفاطمة بنتُ عبد الله بن عمرو بن عمران بن مخزوم جدة النبي ﷺ لأبيه^(٢).

* أما بنتات فاطمة الزهراء فهما زينب وقد ولدت في السنة الخامسة من الهجرة، وأم كلثوم وقد ولدت في السنة السابعة من الهجرة، وقد سماهما رسول الله ﷺ بهذا الاسم.

* ومن الجدير بالذكر أنَّ زينب بنت علي قد تزوجت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وأم كلثوم تزوجت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وولدت له زيداً ورقية.

(١) انظر ترجمته في كتاب نكت الهميان لصلاح الصندي ص (٢٤٤).

(٢) انظر لسان العرب مادة - فطمة - .

قالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟

قال: بأم كلثوم بنت علي، وحذّرهم بأنّه سمع من رسول الله ﷺ قال: «كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيمة إلا سببي ونبي وصهري»، وكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب، فأردت أن أجمع إليه الصهر. فبارك له الصحابة الكرام وهنّه على هذه المكرمة الخيرة.

* ومن الخير أن تُقال كلمة الخير في كل خير، والخير هنا أن نشير إلى أن ابن عابدين - رحمه الله - قد ألف رسالة تُسمى «العلم الظاهر في نفع النسب الظاهر»^(١) ذكر فيها النسب النبوي الشريف والشفاعة النبوية يوم القيمة.

ورحم الله الإمام الشافعي عندما قال:

آل النبي ذريعتي
وهم إليه وسليتي
أرجو بهم أعطى غداً
بيدي اليمين صحيفتني

* * *

(١) انظر رسائل ابن عابدين (١/٢) وما بعدها.

وَيُطْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا:

* كان الإمام أحمد - رحمة الله - إذا سُئل عن عليٍّ وأهل بيته قال: أهل بيت لا يُقاسُ بهم أحدٌ.

* والآن تعالوا نقف مع القرآن الكريم وقفَةً مباركةً نرى أهل البيت الذي باركه الله وأذهب عنه الإثم والشرك والشيطان والمعاصي والشك والأقدار^(١). ومن بركات هذا البيت الطاهر السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ.

* روى سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ كان يمرُّ ببابِ فاطمة - رضي الله عنها - ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: «الصلوة يا أهل البيت الصلاة» (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(٢).

* وتروي أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلى فاطمة كسرى ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فقالت أم سلمة - رضي الله عنها - : وأنا معهم يا رسول الله؟

(١) انظر تفسير الماوردي (٣٢٣/٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير للإية (٣٣) من سورة الأحزاب، وانظر الدر المثور (٦٠٥/٦)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٧١٧٥).

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حَبَّكُمْ
فَرِضُّ مِنْ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
كَفَاكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْقُلُّ أَنْكُمْ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

* وفي البيت النبوى الطاهر يقول النبي الكريم ﷺ: «لا يغضاً أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار»^(١).

* وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه -
قال: نظر النبي ﷺ إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين
فقال: «أنا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، سَلَّمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ»^(٢).

* ومن الأخبار الشافية في هذا المجال ما رواه سيدنا سعد
ابن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: لما نزلت آية
المباهلة^(٤) دعا النبي ﷺ علياً وحسناً والحسين وفاطمة وقال:
«اللهم هؤلاء أهلي».

* * *

(١) رواه الترمذى في المناقب، وانظر الدر المثور (٦٠٤/٦).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (١٢٣/٢).

(٣) المصدر السابق (١٢٢/٢).

(٤) المباهلة: الملاعنة، وقد نزلت في شأن وقد نصارى نجران
ودعوتهم للمباهلة وذلك سنة (٩) من الهجرة. والآية قوله تعالى: =

من مناقبها وفضائلها:

* فضائل سيدة النساء فاطمة كثيرة، وقد جمعها الإمام السيوطي في كتاب سمّاه «الغور الباسمة» في مناقب السيدة فاطمة، وقبله جمع مناقبها أبو عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

* ومن أَنْصَعَ مناقب فاطمة - رضي الله عنها - أَنَّ رسول الله ﷺ قال لها: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - يرضاك ويغضبك لغضبك»^(١).

* وذكر ابن عبد البر - رحمه الله - منقبة عظيمة لفاطمة تشير إلى فضلها وبركتها فقال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر، بدأ المسجد فصل في ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجها.

* ومن الفضائل المباركة التي حظيت بها فاطمة؛ أَنَّ الله سبحانه قد أكرّ منها بتكثير الطعام في بيتها، وذلك ببركة صدقها وكرمها ونقاء نفسها، فقد ذكرت المصادر أَنَّ جارة لها بعثت

= **﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِبِينَ﴾** [آل عمران: ٦٦]، وانظر الدر المنشور (٢٣١/٢)، والشفاء للقاضي عياض (٢٠٦/٢)، وأسباب النزول للواحدي ص (٨٩).

(١) انظر تهذيب التهذيب (١٢/٤٤٢)، والإصابة (٤/٣٦٦).

وارسلت إليها إلى رسول الله ﷺ لطعنه فجاء واحضر
الجفنة، ولترك الزهراء نفسها تروي بقية الحديث فتقول:
فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوقة خبزاً ولحماً، فلما
نظرت إليها بهت، وعرفت أنها بركة من الله، فحمدت الله
وصلحت على نبيه، وقدمنه إلى رسول الله ﷺ.

فلما رأه حمد الله، وقال: «من أين لك هذا يا بنية؟».
فقلت: يا أبا عبد الله هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء
بغير حساب.

فحمد الله، وقال: «الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة
بسيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً
- وسألت عنه - قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء
بغير حساب».

وأكل النبيُّ الكريم ﷺ وعلى فاطمة والحسن والحسين،
وجميع أزواج الرسول ﷺ حتى شبعوا جميعاً، وبقيت الجفنة
كما هي، ثم وزعت فاطمة منها على الجيران، وجعل الله
فيها بركة وخيراً كثيراً^(١).

* ومن الشفاعة ما رواه القاضي عياض في الشفاعة أنَّ النبيَّ

(١) عن البداية والنهاية (٦/١١١)، وحياة الصحابة (٣/٦٢٨)
يتصرف.

دعا الله سبحانه ألا يجتمع فاطمة، قالت فاطمة: فما جمعت أبداً^(١).

* ولفاطمة الزهراء فضيلة باهرة لا يشاركها فيها أحد، فعن عمران بن الحصين أنَّ النبي ﷺ عاد فاطمة - رضي الله عنها - وهي مرثضة فقال:

«كيف تجدينك يا بنتِ؟».

قالت: إني لوجعة، وإنَّه ليزيدني أنَّى مالي طعام آكله.

قال: «يا بُنْيَةُ أَمَا ترْضِينَ أَنْكَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؟».

قالت: يا أبِّي فَأَيْنَ مَرِيمَ بَنْتَ عُمَرَ؟

قال: «تَلِكَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِكَ،

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ زَوَّجْتُكَ سَيِّدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٢).

* * *

الزَّهْرَاءُ وَفِرَاقُ الْحَبِيبِ ﷺ:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْح﴾ دعا النبي ﷺ فاطمة فقال لها: إنه قد نعمت إليه نفسه، فبكَتْ، فقال: «لا تبكي فلأنك أول أهلي لاحقاً بي» فضحكَتْ^(٣).

(١) الشفا (٤٥٩/١)، وانظر مجمع الروايد (٩/٢٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٢٦).

(٣) المصدر السابق (٢/١٣٢).

- رضي الله عنها - : واكرب أباه، فقال: «ليس على أياك
كرب بعد هذا اليوم».

* وتوفي رسول الله ﷺ، ولحق بالرفيق الأعلى، فحزنت
عليه فاطمة، وいくته، وقالت: يا أبناه إلى جبريل ننعاها، يا
أبناه أحبب ربنا دعاه، يا أبناه جنة الفردوس مأواه.

* وعندما دُفِنَ ﷺ بالمكان الذي قُبض فيه؛ قالت لأنس
ابن مالك: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على
رسول الله ﷺ؟!

* وذكر ابن سيد الناس - رحمه الله - أنه لما دُفِنَ رسول
الله ﷺ قالت فاطمة - رضي الله عنها - :

أغبر آفاق السماء وكوّرت
شمس النهار وأظلم الغدرانِ
الأرض من بعدي النبي كئيبةٌ
أسفاً عليه كثيرة الرجفان^(۱)

* وممّا ينسب إلى فاطمة - رضي الله عنها - في رثاء رسول
الله ﷺ قوله:

ماذا على من شم تربة أَحْمَد
الآ يشم مدى الزمان غواليا

(۱) انظر كتاب منح العدح لابن سيد الناس ص (۳۵۸).

صُبْتَ عَلَيْ مِصَابٍ لَوْ أَنَّهَا
 صُبْتَ عَلَى الْأَيَامِ عُذْنَ لِيَالِيَا^(١)
 * وَذَكَرَ أَنَّهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ عَلَى قَبْرِهِ أَيْضًا:
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضَ وَابْلَهَا
 وَغَابَ مَا ذَغَبَتْ عَنَا الْوَحْيُ وَالْكِتَبُ
 فَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ الْمَوْتُ صَادَقَنَا
 لِمَا نُعِيتَ وَحَالْتَ دُونَكَ الْكِتَبُ
 * وَأَوْرَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ - رَحْمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «أَسْدُ الْغَابَةِ» أَنَّ
 فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَا رَوَيْتُ ضَاحِكَةً بَعْدَ وَفَاتَ رَسُولُ
 اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى لَحِقَتْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَجَدَتْ - حَزَنَتْ - عَلَيْهِ
 وَجْدًا عَظِيمًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا - .

* * *

الزَّهْرَاءُ وَالصَّدِيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

* لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى تَعَلَّقَتْ أَمَالُ الزَّهْرَاءِ بِمِيراثِ
 أَبِيهَا، فَجَاءَتْ تَطْلُبُهُ مِنْ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ - رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ وَأَرْضَاهُ -، فَحَدَّثَهَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ تَعَالَى يَقُولُ: «لَا نُورَثُ
 مَا تَرَكَنَا صَدْقَةً»، فَلَمْ تَعْدْ تُكَلِّمَهُ فِي الْمِيرَاثِ، وَشُغِلتُ
 - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لِفَقْدِهَا أَكْرَمُ الْخَلْقِ

(1) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٣٤)، وأعلام النساء (٤/١١٣).

الحاصلون مثل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا مثله حتى العيامه يفعد، كما
شُغلت - رضي الله عنها - بالمرض الذي لازمها، وجعلت
 تستعد إلى اللقاء القريب مع الله سبحانه، إذ كانت تعلم
 بقُرب لحوقها بأبها جَنَاحَةً، واشتدَّت عليها وطأة المرض،
 وعادَها سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه - .

ذكر الإمام الشعبي هذا فقال:
لما مرضت فاطمة - رضي الله عنها - أتى أبو بكر
فاستأذن .

قال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك
قالت: أتحب أن آذن له؟ .

قال: نعم.

قال: فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، وقال:
والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء
مرضاة الله ورسوله، ومرضايكم أهل البيت.
قال: ثم ترضاها حتى رضيت^(١).

* ويعلق الذهبي - رحمه الله - على هذا الخبر تعليقاً
مباركاً يرفع من مكانة الزهراء عالياً في سماء العلم والأدب

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٢١). وما يشير إلى رضا فاطمة عن
الصديق - رضي الله عنهما - أنها أوصلت زوجة الصديق أن تغسلها
إذا ماتت.

فيقول: عَيْلَتِ السُّنَّةَ - رضي الله عنها - ، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره^(١).

* أولىست الزهراء البغية النبوية البتول، الشبيهة بأبيها الرسول؟ الفصيحة العاقلة التي تأدبت بأدب أبيها ~~بَشِّرَ~~؟

* * *

رِحْلَةُ الْخُلُودِ:

* حدثت أمّا عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنا أزواج النبي ~~بَشِّرَ~~ اجتمعنا عنده، لم يغادر منهن واحدة، فجاءت فاطمة تمشي ما تخطي مثيتها مشية رسول الله ~~بَشِّرَ~~، فلما رأها رحّب بها قال: «مرحباً بابتي» ثم أقعدها عن يمينه أو عن يساره، ثم سارها فبكى، ثم سارها الثانية فضحكَتْ، فلما قام قلت لها: خصّكِ رسول الله بالسر وأنت تبكيين، عزّمتْ عليك بما لي عليك من حقٍّ لما أخبرتني ممْضحكَتْ ومم بكيتْ؟

قالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ~~بَشِّرَ~~.
فلما توفي قلت لها: عزّمتْ عليك بما لي عليك من حقٍّ لما أخبرتني .

قالت: أمّا الآن فنعم، ففي المرة الأولى حديثي «أنَّ

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٢١).

في هذه السنة مرتين وأني لا أحب ذلك إلا عند اقتراب
أجلِي فاتقي الله واصبري فنعم السلف لك أنا» فبكىَتْ، فلما
رأى جزاعي قال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين
أو سيدة نساء هذه الأمة؟» قالتْ: فضحكَتْ^(١).

* وكانت فاطمة - رضي الله عنها - قد ثقل عليها المرضُ
بعد وفاة أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحل جسمها من شدة الحزن، وشعرت
بدنو الأجل، وشكَتْ إلى أسماء بنت عميس - زوج أبي بكر -
رضي الله عنها - ما يدور في نفسها قالتْ:
يا أسماء إني أستيقِّن ما يُصْنَع بالنساء يُطْرَح على المرأة
الثُوب فيصفها.

فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ألا أريك شيئاً رأيته
بالحبيبة؟ فدعت بجرائد رطبة ففتحتها ثم طرحت عليها ثوباً،
فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله.

* وتوفيت الزهراء - رضي الله عنها - ليلة الثلاثاء لثلاثٍ
خلونَ من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة.
وذكر عروة بن الزبير أن فاطمة توفيت بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بستة
أشهر وهي ابنة تسع وعشرين سنة، وتحققت نبوة رسول

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٣٠)، وأنساب الأشراف (١/٥٥٢).
والحديث أخرجه البخاري ومسلم.

الله ﷺ فكانت أول أهل لحقها، وغسلها زوجها وأسماء بنت عميس، وأشارت على زوجها أن يدفنها ليلاً، وصلى عليها العباس، وقيل إن علياً صلى عليها وقيل أبو بكر، ونزل في حفرتها عليٌّ والعباسُ والفضلُ بن العباس - رضي الله عنهم جمِيعاً - ^(١).

* ولعلي بن أبي طالب بعد موت زوجته فاطمة - رضي الله عنها - :

لكل اجتماعٍ من خليلين فرقه
وكل الذي دون الممات قليل
وان افتقادي فاطماً بعد أَحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

* * *

شارتها بالجنة :

* قال تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ مِن الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيِّهِ » [النساء : ١٢٤].

(١) عن الاستيعاب (٤/٣٦٧ و ٣٦٨)، وأنساب الأشراف (١/٤٠٢ و ٤٠٥).

بجري من تحتها الاهار حالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفور العظيم» [المائدة: ١١٩].

* ولفاطمة الزهراء - رضي الله عنها - مكانة متميزة بين نساء الإسلام، وخصوصاً في مجال العبادة، وقد سميت بـ『بتولًا لانقطاعها عن نساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً』.

وكانت - رضي الله عنها - بعيدة عن زخارف الدنيا وأفاتها، مقبلة على الله سبحانه إقبالاً شديداً رفعها إلى طبقات الأصفiae، وجعلتها سيدة النساء في زمانها.

* والزهراء إحدى بنات النبي ﷺ اللاتي ستقرّ بهن عينه - إن شاء الله - في الجنة، فقد كانت - رضوان الله عليها - تربى الآخرة وتسعى لها سعيها، فنالت بذلك الرضوان، وأحاديث بشارتها بالجنة كثيرة مروية في الصحيح، من ذلك ما رُوي عن سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهمَا -.

قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط.

قال: «هل تدرؤن ما هذا؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد،

وفاطمة بنت محمد، وأسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران^(١).

* وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال النبي ﷺ لفاطمة: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين»^(٢).

* ومن الأحاديث التي يُشرّط بها فاطمة - رضوان الله عليها - ما رواه سيدنا حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «نزلَ ملَكٌ فِي شَرْنَيِّي أَنَّ فاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣).

* وبعد، ففي حياة الزهراء الكثير الكثير، وأذكرك عزيزي القارئ - أنها كانت إحدى راويات الحديث النبوي الشريف، قال ابن الجوزي - رحمه الله - : ولا نعلم أحداً من بنات رسول الله ﷺ أَسْنَدَ عنَّهُ غير فاطمة - رضي الله عنها - .

* روت عن النبي ﷺ ثمانية عشر حديثاً، وروايتها في الكتب الستة، وقد أخرج لها منها في الصحيحين حديث

(١) الحديث رواه الإمام أحمد (١/٢٩٣)، والحاكم (٣/١٦٠).

(٢) رواه الإمام البخاري في علامات النبوة، ومسلم في الفضائل

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/١٢٣).

* رضي الله عن فاطمة ابنة سيدنا رسول الله ﷺ مثال الابنة البارة.

* ورضي الله عنها أمّا مباركته، ويكتفيها من البركة أنَّ الذريَّة التَّبُوية انحصرت فيها.

* ورضي الله عنها زوجاً صابرةً، وعايدةً قانتةً، وحامدةً شاكرةً.

* ومع وداع سيرتها المعطار نمتعُّ الأسماع، ونطمئنُ القلوب بذكر الله، ونقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَقِّنَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صَدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *